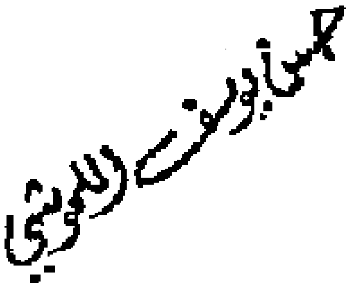
سيدة الوقت الضائع

قصص قصيرة



عبد الرسول العريبي

مجلس الثقافة العام



سيدة الوقت الضائع
قصص قصيرة

سـيـدة الـوقـت الـضـائـع

قصص قصيـرة

عبدالرسول العريبي

النـاشـر

مجلـس الثـقـافـة الـعـام

اســـــم الكـتـاب	سيدة الوقت الضائع
اســـــم المـؤلـف	عبدالرسول العريبي
سـنـة النـشـــر	2006 م
رقـــم الإيــــداع	7220 / 2006 م
الترقيم الدولي	3 - 132 - 38 - 9959

تصميم الغـلاف	علي العباني
لـوحـــة الغـلاف	فتحي العريبي
التنفــيذ الفـنـي	عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيـذ الطباعـة

القاهرة ت 0020123140315

الإهــداء إلى :

محمد بالقاسم البرجو

سعد جاب الله يونس العسبلي

في رحلة الماضي والأيام القادمة

سيدة الوقت الضائع

جسدها الذي تبدى مثل شعلة نار قادم يتحرك كله، بكامله يتحرك فيما نهداها وهما يتحركان مثل بندول الساعة ارتفعا تجاهي تماما، حيث أتعمد أن أقبع هناك في طرف المقهى المقام عند مدخل سوق الظلام، حيث إذ ذاك يروق لي أن أجلس في انتظار ما يفضى به مساء ذلك اليوم أو الذي يليه. حين رفعت رأسي قليلا عن صحيفة (الفراغ) التي يروق لي أن أطلع عليها كل مساء لمعرفة ما يجري في شوارع العالم الخفية.

كانت المرأة الملتهبة مثل شعلة الأعياد الكبرى قد أطلت في قمة نشوتها. كانت مثل كل النساء الجميلات تعرف أنها مثيرة للجدل والحفيظة، وأن العيون التي تلاحقها في دقائقها تلك على الأرض أكثر من النجوم المعلقة في السماء. وأنها سعيدة جدا بذلك وفخورة .. بل يروق لها أن ترتفع جميع الأنوف والعيون إلى هامتها وقوامها الفاره. ولتجادل في المسألة كما تشاء .

وسط المقهى تعمدت المشي بهدوء. مما ترتب على ذاك إيقاف الحركة في جسدها كله، والذي توقف للتو عن الاهتزاز والاعتزاز، وحتى أن نهديها استكانا مثل حمامتين على صدرها. وتكوّرا كلّ في مكانه المعتاد ككرة تتوقف فجأة عن الحركة. من جهتي لم أرفع عيني عن صدرها، كنت مصرًا على ذلك، رغم زحام المارة بل كنت ولا فخر مثابرًا أتابع النهدين وهما يجوبان الفضاء المتاح بين خصلات شعرها. لكنني حين استقرا ثبّت عليهما النظر كمن ينظر بقلق إلى كرتي بلياردو توقفتا فجأة. قالت للبائع المتجول وهو مازال يلملم فمه المفتوح على مصراعيه:

أزح هذه العربة قليلا فالطريق جُعلت للمارة. وحين لاحظت هلعه،

رأفت به قائلة: أليس كذلك أيها البائع؟ منحته ابتسامة بالمجان. لم يكن بوسعي أن أقف محايدًا فقفزت بنخوة مفتعلة وقلت له زاجرًا: أزح هذه العربة عن طريق السيدة. أضفت في مكر طاريء: لماذا أنتم تشوهون الشوارع حين تصبح جميلة ومشرقة بأهلها؟ هي بدورها ابتسمت لي .. وللمارة. حتى أن كل من بالمقهى أحسّ بتلك الابتسامة تشع في دواخله القاتمة. ثم وجدتني في تطفل ظاهر أقول: سيدتي هل أستطيع أن أعرف الوقت من ساعتك الجميلة هذه؟!.. وحين تنظر إلى ساعتها بصمت كنت أفكر بعمق في كرتي البلياردو، ولكنني اخترت بخبث أن أتسلل من خلال الوقت إلى صوتها وكان رخيمًا وعميقًا. وساكنًا، مثل مذيعة البرامج المسائية.

فقالت لي: الساعة أيها السيد السادسة الآن. ثم ابتسمت وهي تسخر مني لتقول: مساءً طبعًا.

مشت المرأة وكان بوسعي أن أتابع جسدها عن كثب، وكانت وهي تمشي ترتعش مؤخرتها أشبه بإيقاع بين يدي فنان ماهر، واستعراضي. فيما شعرها الذي استرسل خلفها يرقص متوازيًا، ومنسقًا، ومتناغمًا، فيغطي الكتفين ويتحلق ثم ينكسر حول وسطها الضئيل فيتوارى، فلم يعد أمامي سوى الساقين مثل سيفين متقاطعين في معركة حقيقية. كانت مثل الزوبعة وكان المارة والقعد الجلوس في حالة انتشاء ولذة وحسرة ولهفة وتمن، فيما كنت أخطط لأمر مستقبلي يكون من شأنه عدم هدر فرصة ممكّنة. وأريد أن أعترف هنا أن المرأة الملتهبة مثل نار في غابة كانت استهوتني فعلا. .. سرقت مني وقتي وأحلامي ولحظات انتظاري المتكررة في المقهى الذي يفتح فمه مثل

أبله على بوابة سوق الظلام مباشرة. وقد كان لابد من سؤال يلح ويدق أقدامي.. لماذا لا تتبعها ...؟ وهذا ما حدث فعلا .. !!

خلفها ظللت أمشي .. متعلقا بحركة جسدها .. بفوضى مؤخرتها المرتعشة والمتلاطمة مثل أمواج الصخور. كنت إذ ذاك أمرر لساني بحركة دائرية حول فمي الذي صار يسري به الجفاف حتى قاع حلقي، فأبتلع ريقي باتصال وأمسح بيدي اليسرى على وجهي مارًا بحاجبي فأنفي فرقبتي ثم أضع يدي في جيبي، وعن كثب أمشي ممنيا نفسي الواجمة بوليمة منتظرة. لكن المرأة التي تمشي مثل سمكة في الماء كانت ارتطمت بأحدهم فجأة، أو أنه تعمد ذلك إزاء ما هي عليه من إدهاش معمدا نهاره بلمسة يتغذى بها طوال يومه القاحل. لابد أن ذلك حدث لآمر خبيء في نفسه، عرجت هي حتى كادت تقع .. ثم التفتت خلفها لتنظر إليه شزرا، فتراني، فتبتسم لي قائلة:

- هو أنت في أثري؟ !

أحسست تلك اللحظة بجدواي، وبأن السيدة لم تنسَ ملامحي، ولابد أدركت بخبرتها أنني إنما تعمدت سؤال الوقت "لأمر في نفسي.

قلت وأنا بعد لم أدركها: هو موعد سابق حركني من مقعدي المفضل ويبدو لي أن طريقنا واحدة .

قالت وهي تهديء من مسيرها فيما مؤخرتها المراوغة شيئًا فشيئًا تتحرك بهدوء ومنطق وتؤدة، منهية أمام ناظري تلك الفوضى العارمة داخل الفستان: ستري أن طريقي أبعد مما يجب وأن حدودك هنا في هذه الأزقة !

قلت دون أن أدركها فعلا .. يمكنني المشي خلفك حتى حافة العالم. قالت: يمكنك أن تفعل ذلك مع أخرى فأنا بصدد طلب تاكسي الآن. ولم تكمل كلمتها حتى كانت السيارة قد توقفت على الرصيف، بعد أن رفعت أصابعها في الهواء ببطء شديد مغرور، حتى أن السائق أحسّ به قبل أن يري يدها في الهواء.

ركبت وقالت: باي

فيما ظل فمي مفتوحًا مثل بوابة سوق الظلام. وإذ شعرت بهلعي طرأت فكرة أن أمشي في أثرها إلى آخر العالم. فاستقليت سيارة تاكسي بدوري، متوجهًا عن كثب في أثرها، كانت سيارتها تتجه بوضوح إلى الطريق الدائري عبر الشاطيء ثم عبر شارع جمال عبد الناصر حتى إذا لاح جسر المدينة الرياضية انحنت السيارة متكسرة إلى طريق خارجي أفضى مباشرة بنا إلى طريق المطار. كنت في أثرها أعالج بعض اليأس الذي سري في أوصالي، فهمست لسائقي: يمكنك محاذاة هذه السيارة التي تقل السيدة. بطريقة متعارف عليها بين سائقي التاكسي تمكّن صاحبي من محاذاتها تماما. طرقت زجاج سيارتها بعد أن توقفت مبتسمًا للسيدة وأنا أقول:

- هل أستطيع سيدتي أن أعرف الوقت الآن .. ؟

قالت وهي تبتسم: الساعة الآن السادسة وخمس دقائق .. يمكنك أن تلتحق بموعدك الآن .. ! مازال في الوقت متسع؟!! قالت لي أيضًا ... وابتسمت !؟ .

ليلة واحدة فقط

كنت وحيدًا عندما اقترحت على نفسي أن نذهب معًا إلى خارج البيت .... أن نسوح قليلا في الشوارع المجاورة، نذهب إلى المدينة .. نشتري مجلة، نلتقي أحد الأصدقاء بالصدفة، نمشي معا بلا هدف ....

وقد قلت لنفسي أفعل ذلك ريثما يتلاشى من داخلي أرق نهض مبكرًا في أقبية روحي، فاستبد بي .. وأقلقني .. وهو ذاته الأرق المزعج الذي يلم بي عادة حين أكون وحيدًا في بيتي بلا أصدقاء. وقد جعلت أستمع إلى موسيقى أتضح لي أنها رديئة ... ومزعجة، وكان أحدهم أهداها إليّ مقترحا أن أستعين بها حين تداهمني لحظة السأم تلك. وقد اكتشفت سوء مأربه مبكرًا لحظة أن تصاعد صوتها وتعاظم الأرق بي ... لقد كانت صاخبة ومتصلة، فيما كنت أحتاج إذ ذاك إلى ما يخمد قلقي وسأمي ..

- 1 -

وهـا أنـذا أخـرج ... أمشـي في الشـوارع .... .. وبـي اعـتقاد أن المحاولة يائسة .. لم يكن أمامي سوى الطريقة نفسها ... إغلاق الباب خلفي .. إشعال سيجارة .. المشي والنظر في عيون المارة .. وذلك كله لدرء أرقي، ونزع ما تبقى من إيقاع الموسيقى الرديء عن روحي .. قلت - وأنا مازلت أتحدث إلى نفسي - لماذا الشوارع وهي خالية؟ لماذا لا أذهب إلى أبعد من هنا؟ إلى هناك حيث بيت المرأة الصديقة فأزعجها بي، وأنفض ما تبقّى من سأمي هناك ...، هي بالتأكيد وحيدة وقلقة مثلي .. ولابد أنها تنتظرني .. ألم تقل لي ذلك في كل مرة؟ فقد كان يجب أن أقرر ذلك مبكرا .. وبدأت ألوم نفسي على نسيانها.. لكن لا بأس ـ قلت ذلك في عزاء مأمول .. مازال في الوقت متسع.

- 2 -

انتهيت للتو من المسافة الفاصلة بيننا، وقد طرقت الباب ففتحت المرأة مبتهجة بي مرحبة .. ودعتني للدخول .. وبدا أنها في انتظاري ... قالت: فيما صوت الباب وهو يقفل خلفي وقد وصل إلى داخل البيت عذبًا هادئًا .. ما أشعرني بالأمان أحدث إيقاعًا مسالمًا هدهد روحي الواجمة تفضل وأضافت في مواجهتي تماما .. ـ

تأخرت عن مواعيدك السابقة فالساعة الآن الثامنة وأنا أفترض دائما أنك تطرق بابي في المساء . قلت:ـ لم يكن بوسعي قبل الآن .. ذلك أنني منذ البداية لم أخطط للمجيء إلى هنا. لكنه الأرق نفسه ألمّ بي وقد تصاعد معي بفعل موسيقى أحد الأصدقاء ممن يعملون فقط على إزعاج سواهم بمقترحاتهم الساذجة، وفيما هي تبتسم بعناية وتنظر إلى واقفة في ملابسها الشتوية التي أوحت إلى بدفء ما، أحسست في تلك اللحظة أني في حاجة إليه ... بنطال يضيق عند الفخذين فانلة واسعة متهدجة الأكمام، شعر مرسل بفوضى المساء وحافية ... قالت:ـ كيف يحدث هذا؟ أنا في انتظارك طوال المساء .. حتى وإن لم تأتِ .. ثم انحنت مقتربة من وجهي ..

وتساءلت:ـ ماذا تحب أن أقدّم لك شايا أم قهوة؟ .

قلت: قهوة .. ذهبت .. رمقتها من الخف .. أزحت نظري عنها وفيما هي منصرفة لجأت إلى مراقبة اللوحات المعلقة في مساحات البيت .. مجموعة لا أسماء لها .. غير أصيلة منزوعة من المجلات ولكنها مؤطرة بعناية .. لا شيء جديد لا شيء مهم .. كل شيء على حاله .. وقد كانت عادة لي أن أعيد قراءة اللوحات كلما جئت إلى البيت وانصرفت هي لأعداد شيء ما. امرأة وحيدة اختلفت مع زوجها منذ الشهور الأولى. وقد انتهت العلاقة بينهما بأن استقلت عنه، عندما غادر هذا وأقام مع امرأة أخرى في الجنوب. طلقها لأنها لا مبالية، قال ذلك لأصدقائه ولذويه، وحين أحسّ أنها لا تأبه له، تركها .. ، قد كنت أعرفها قبل ذلك فحدثتني عنه وعن ذلك كله .. فحزنت لأجله أولا لأنه

لم يستطع أن يحتفظ بـا مـرآة جميلة .. ثـم حزنـت قليلا لأجلها وقـد لاحظت ذلك في عيني .. ومنذ تلك اللحظة التي حزنت فيها لأجلها، عُدنـا صـديقين ... فصـرت بعـد ذلـك افـتعل بعـض الأحـزان لأجـلها، فيتحدث كلانا إلى الآخر بود، وقد كُنَّا سعيدين بذلك.

- قالت لي وهي تقدم فنجان القهوة: كيف المطر في الخارج؟ أضافت .. منذ الصباح والجو صحو ثم تساءلت:

- هل رأيت الشمس اليوم؟

- لم أرها منذ ثلاثة أيام .. قلت ذلك دون أن أنظر إليها وهي جالسة قبالتي تماما .. كنت أفكر بشيء ما.

- قالت:- افتقدتك .. كان يجب أن أراك قبل يومين. كنت أنتظرك .. ما الذي ألمَّ بك؟ هل هو الأرق؟ أم هو نفسه مزاجك؟ .. يا ملعون ؟!

- لا شيء من ذلك ... قلت ذلك ضاربا على فخذيها .. ،هما مدوران في اكتنازهما المدهش .. أضفت بلا صدق أو حماس .. كل النساء .. كل ما يخطر على رأسك الصغير هذا .. لا يمكن أن يزيح الأرق عني .. أنت فقط؟ .. إنه أرق متأصل بروحي وأنت فقط مزيحه الأرق والآسي عني .... نظرت في وجهي تحققت من درجة الصدق في كلماتي .. ابتسمت سحبت ساقيها .. خللت شعرها الأسود القصير بأصابعها. ارتشفت خجلة من قهوتها .. قالت وهي تعرف أنني عادة ما أراوغ :- ماذا يجب أن تفعل لأجلي؟ .. لأجل موعدك لي .. فأنا

مازلت في انتظارك .. تم تساءلت متى ستحقق لي رغبة أن نذهب معا إلى شحات والمبيت برأس الهلال ... وابتسمت ! قلت جادا هذه المرة: لا .. أنا لا أستطيع أن أذهب إلى الجبل الأخضر بصحبة امرأة .. أي امرأة .. أضفت مراقبا انفعالها عن كثب ـ مع امرأة ... لا أذهب حتى إلى سوق الجريد. قالت دون أن ترفع رأسها أنه يوم جميل .. نمضيه هنالك معا ونعود ... تم تساءلت: ألا يروق لك أن نكون معا؟ قلت لا أستطيع .. فتلك مدينتي .. معارفي هناك .. كل الشوارع تعرفني..؛ حتى الجدران .. فكيف أرى هناك مع امرأة غريبة .. فأنا مازلت أحتاج إلى بيت يأويني لم يعد بالعمر متسع للخراب .. وابتسمت بدوري قالت: إذن سأذهب وحدي صباح الغد وسأجد من ثم من يرافقني، أنت تعرف من يتمنى ذلك !. أضافت بوضوح ـ إن بي رغبة أن أذهب إلى الجبل الأخضر في الشتاء وأرى عن كثب كيف أن شلال رأس الهلال عادت الحياة إليه وصار يتدفق .. تماما مثل عهدنا به .

ثم وقفت جذلة .. قائلة بهمس:ـ بصراحة أريد أن أتجدد به. وقفت بدوري .. ثم ربت على خدها برفق قائلاً لها:

- اذهبي وتجددي ما شاء لك ذلك، فثمة ما يمنعني من التجدد على هذه الطريقة.

- قالت: وهي تمسك بيدي وتعيدها بغضب إليَّ: إذن سأذهب في الغد مع أحدهم وجلست مادة يدها إلى جهاز الهاتف .... أمسكت بيدها وأنا أقول:ـ أنت حرة .. بالنسبة لي لن أذهب معك إلا إلى

الجـنة وابتسـمت.! هـي لم تبتسـم .... زمّـت شـفتيها ... ادّعـت أنهـا مـازالت غاضبة قالت فجأة:

- يا ملعون ما أمكرك !

- لست كذلك .. كل ما هنالك هو أنني لا أستطيع أن أسوح مع امرأة أخرى في مدينة تعرفني ... فأنا من هناك ثم أضفت وأنا أعبث بخصلة شعرها المنحدرة فوق النهد. - يمكننا أن نذهب معا عبر الساحل ونمضي يومنا في وادي الكوف وما حوله .. دون أن نتكبد مشقة الذهاب إلى شحات عبر البيضاء. ثم أضفت ساخرا - ودرنه مدينة من عيون تراك في حيث لا تحب .. ! قالت .. وهي مازالت محتفظة بغضبها المفتعل .. زامة شفتيها .. قدمها يدق بغضب على الأرض ....- لابد من شحات ورأس الهلال. إن المرء لا يمتلك وقته دائما ! قلت:- هذا غير ممكن .. على الأقل بالنسبة لي .. يجب أن تدركي أن هذا العمل .. ليس سوي فضيحة صغيرة .. قالت:- إذن أنت حر.. إلى لقاء .. ونم في قوقعة خوفك! قلت- وأنا أمسك بكلتا يديها وأقرّبها مني هامسًا تحت خصلة شعرها هناك عند نصف عنقها:- إلى اللقاء معتذرا عن الفكرة واعدًا إياها بالقول:- أعدك برحلة سرية .. عبر الليل والمبيت هناك بفندق - أمواج الصخور - الرابض في منطقة رأس الهلال .. على الشاطيء في مواجهة الجبل .. قالت:- في الليل .. هذا شيء مدهش .. ولماذا لا نذهب الآن؟ يجب أن توافق. قلت:- كيف يحدث هذا بغتة؟ ولست مستعدا. قالت بحماس ..:- هي ليلة واحدة

والساعة الآن التاسعة وسنعود مساء الغد، أضافت فرحة، كل شيء في الليل .. الذهاب والإياب .. ها ما رأيك؟ .. لا تجعلني أحقد عليك ..؟ !

ـ 3 ـ

بعد ساعة كنا معا عبر الطريق الساحلي في سبلينا إلى الجبل الأخضر، وقد تحدثنا في المسافة ... قالت لي:ـ أنت مجنون تهرب من فخ لتقع بكاملك في فخ أكبر... أضافت:ـ أنت رجل مصاب بخطاياك ... أنتم الرجال رائعون عندما تترددون أمام دعوة امرأة !قلت:ـ بالعكس .. أنا رجل ليلي، وليس سوي الليل رداء للخطايا الجميلة، التي نرتكبها نحن تحت ستار من الحذر مقابل أن نقتنص سعادة مفتقدة، ونبيت ليلة جميلة مسروقة من رتابتنا في مكان قصي هو فندق ـ أمواج الصخور ـ هل سمعت من قبل عن هذا الفندق ..؟ وأجبت ـ هو هناك في انتظارك ....

قالت:ـ ستكون ليلة وحيدة لكنها جميلة .. أنا أصرّ على أن تكون جميلة .. برغم ترددك .. فنحن النساء وحدنا نملك مفاتيح اللحظات الجميلة. قلت ساخرا ـ بل نصف ليلة .. فنحن في العاشرة ومازال حبل الطريق طويلا .. وعلقت لقد طار الأرق وبدأ الطريق .. وماذا بوسع امرأة أن تفعل إزاء ليلة بلا عشاء قالت:ـ لايهم ستكون ليلة مدهشة. قلت: بشيء من التجاهل:ـ سنري ما الذي يتفتق عنه خيالك هناك؟ قالت .. غامزة وجهي عبر الليل وسيجارتي المتوقدة:ـ سنرى؟ !

في الثانية عشرة ليلاً كنّا معا نفاوض الموظف بفندق "أمواج الصخور" حول مبيتنا هناك لليلة واحدة .

قال:ـ عفوا سيدي لا أستطيع أن أمنحك غرفة وأنت أمامي هكذا مجرد شخص بلا أوراق.

قلت له: السيدة وهي رفيقتي ومعها أوراقها ثم هي رحلة طارئة .. ومجرد ليلة واحدة فقط ... قال .. فيما هو ينظر إلى السيدة بعينين فيهما سؤال خفي ... وبادّعاء يحمل روح الحرص:ـ السيدة ستنام ـ اطمئن نظر إليّ بنفس السؤال:ـ لا اعتراض لي على ذلك، أما بالنسبة لك فمعذرة. لذلك قلت في الأثناء ..:ـ يا رجل اتقِ الله! ... نحن معا !

قال دون أن يرفع رأسه عن الأوراق ..:ـ لا أدري من الذي يجب أن يتقي الله؟ ثم أضاف وهو يرفع معي عينيه ببعض الخبث مدعيا الذكاء:ـ أرجوك لا تلح على .. فأنا أعرف كل شيء، ولا داعي للتفاصيل .. ثم أنا مجرد موظف ليلي، ولا أستطيع أن أويك لمجرد أنك برفقة امرأة .. ثم إن الصعوبة تمكن أصلا في كونك بلا هوية .. فيما السيدة تحمل هويتها، ولو كان الأمر بالعكس لهان الأمر وأنت تعرف ما أعنيه. نظرت إليه وقد أصابني بالصمت فيما وجدت السيدة تقول وهي تطأ بقدمها على أصابع رجلي اليسرى:ـ لا بأس .. احجز لي غرفة بسريرين. قال:ـ ليكن .. هذا مفتاح الغرفة رقم (12) يمكنك الذهاب الآن والراحة، وبالنسبة للسيد يمكنه التفضل خارج

الفندق وليتدبر أمره أو ليذهب إلى فندق رأس الهلال، وهو مخيم مجاور يمكن أن يتساهل معه، ويتسامح في مثل هذه الأمور... !

- 4 -

في أواخر الليل بدأ المطر يهطل وصار بوسعي أن أبذل جهدي كي أمرر ليلتي على خير، كان البرد شديدًا قاسيًا، وقد بدأ يتسلل عبر السيارة إلى عظامي مباشرة، ما دفعني إلى الخروج منها والمشي بجانب سور الفندق. ؛ حتى إذا طرأت فكرة لعينة برأسي: أن أذهب إليها متسللا عبر السياج حتى إذا وصلت إلى حافة الشاطيء، وقد راقت الفكرة لي. فعبرت بهدوء إلى خلف الفندق وجدت الباب الصغير المفتوح على المصيف مواربا .. دخلت في طريقي إلى البحث عن الغرفة رقم (12) " ..

كنت أمشي في الظلام تحت الليل والمطر وصقيع البحر فيما الأضواء مازالت بعيدة، وبي هاجس أن الرجل ربما يراقبني الآن .. وهذه مخاطرة أولية لا أريدها أن تكون في انتظاري .. فجأة وأنا مازلت أمر على أرقام الغرف (5 - 7 - 6) ثم لاحت (10) تحت نور صغير ثم رقم (11) فالغرفة المجاورة رقم (12) بنور واضح .. فسعيت إليها .. لكنني فوجئت بأحدهم يتلصص بنظره عبر النافذة كان يراقب السيدة وهي في غرفتها .. تراجعت قليلاً باذلاً جهدي في مراقبته عن كثب، لقد لاح بكامل جسمه وهو يمد رقبته عبر النافذة

ماسحًا الزجاج بيديه في محاولة واضحة للتلصص عليها .. ظل في مكانه ثم فجأة جعل يمشي برأس مرفوعة، ولكن بهدوء حتى إذا وصل... إلى باب الغرفة .. طرق .. بهدوء ....

من؟ قالت السيدة من الداخل بدا أنها مفزوعة .

قال:ـ أنا رجل الاستعلامات بالفندق .. جئت لأطمئن على راحتك.

قالت وهي تفتح الباب:ـ تفضل .. وتساءلت دون أن تسلم عليه .. ـ هل أنت بصدد مساعدتي فعلا؟ قال وهو يبتسم:ـ

وهل نحن إلا في خدمة الضيوف ...؟!

قالت:ـ هل يمكنك التجاوز بإدخال الرجل الذي برفقتي للنوم بغرفتي على هذا السرير.. أضافت .. هي ليلة واحدة، والبرد شديد كما ترى.

قال وهو ينظر إليها بحنان:ـ سيدتي ا لمشكلة ليست مشكلة إحساس من عدمه بل إنني أحسّ تجاهك بشيء ما .. ضحك بخبث وأضاف وا لمشكلة ليست أن ينام أو لا ينام.... سمعة الفندق هي الأهم ثم غمز بنفس الخبث وهو يتساءل:ـ ما أدراني بطبيعة العلاقة بينكما؟ ! وبهدوء أضاف:ـ سيدتي لا داعي للإحراج ولا للتفاصيل .. نحن في الفنادق نعرف كل شيء، ولهذا نخاف من كل شيء !

قالت:ـ لماذا تهوّل الأمر؟ ثم إن خدمتك لي وله هي أن لا تفرق بيننا يا رجل ،! ثم ضحكت متسائلة:ـ لماذا تحمل كل هذا الذنب على كتفيك؟.

قال بخبث وقد راق له الوضوح من جانبها:ـ لماذا أنت مصرة على أن ينام معك الليلة؟ .. ألم يكن برفقتك طوال الليل؟ ثم تساءل وهو يبتسم مدعيًا الحياد والمداعبة:ـ ثم ما هي علاقتك به؟ .. هل هو زوجك؟ ....

قالت:ـ ليس بالضرورة أن يكون زوجي كي نكون معا .

قال وهو ينظر في عينيها مباشرة:ـ أنا لا أقر ذلك أنا أسأل فقط .. ثم إن هذه الإجابة لا تشجّع على أن ينام بالفندق كل من يصحب معه امرأة بأوراقها .. وهو مازال ينظر إليها، أضاف إن النساء أحرص على أوراقهن من الرجال ... .

قالت ممتعضة من الحوار ومنه، إذن أنت لم تأتِ لكي تقدّم خدمة لي؟.

قال وقد راق له شيء ما ... وقد جلس على حافة السرير الموازي لسريرها يمكنني أن أساعدك .. هل أنت خائفة من المبيت وحدك في فندق ـ أمواج الصخور ـ أضاف في خبث:ـ أستطيع أن أنام على هذا السرير حتى الصباح. ما رأيك؟ فغرفتك بسريرين وهذا ما سييسر لي مهمة إيناسك ! ...

قالت وهي تشعر بأنها تتنازل أمام مراوغته:ـ وهو؟ ألا يستطيع أن يقوم بنفس الدور؟ .

قال مبتسمًا:ـ سأدعوه للنوم في غرفتي ـ بالمجان ـ فهي لي وبالتالي أملك إجازة أن أمنحها لمن أشاء، ولأجلك سأمنحها له هذه الليلة!

قالت في توسل:ـ صدقت هي ليلة واحدة، ولأنها كذلك ولأننا سنغادر مبكرا يجب أن .... قاطعها مبتسمًا وفي ابتزاز واضح:ـ ليس بوسعي أكثر مما اقترحت أنام أنا هنا ـ حتى لا تخافي ـ ينام هو هناك حتى لا يتعرض للبرد .. !

قالت بيأس وقد طرأت برأسها فكرة جديدة:ـ هل بوسعك أن تمنحه من عندك غطاء لينام في سيارته حتى الصباح .... وأضافت: إنك أغلقت جميع الأبواب ....

قال:ـ بالعكس .. الباب مازال مفتوحا للحوار بيننا .. غير أنني سأذهب الآن وتساءل بود:ـ هل لديك رغبة في أن نتناول الشاي معا؟ أضاف ـ فالليلة تبدأ منذ الآن؟ .

قالت مداريه احتقارها له ... مبتسمة بحياد:ـ إنك تملك أن تساعدنا لكنك لا ترغب في ذلك ...

قال وهو يستعد للخروج ...:ـ المسألة ليست بهذه البساطة وخرج غير أنها نادته قائلة:ـ

عفوا: لم تقل لي .. كم ثمن المبيت لليلة واحدة هنا .. نحن لم نسألك عن ذلك ؟.

قال:ـ لا عليك. بالنسبة لك لا يهم .

قالت:ـ دون أن ترفع نظرها عنه .. وصديقي؟ .

قال بنفس النبرة وبود:ـ صدقيني أنا متعاطف معه .. فالبرد شديد والليلة موحشة ... لكنها المشكلة نفسها ... الحذر من العاطفة في مثل هذه الأعمال .. نحن هنا يجب أن نتعاطى مع ضيوفنا من خلال هويّاتهم لا نيّاتهم الحسنة، ثم خرج هامسًا ... ـ سأعود !

خرج الرجل الليلي في الطريق إلى غرفته تحت المطر والصقيع، وهي غرفة تبعد قليلاً عن غرف رواد المنتجع السياحي، حيث تقع هناك بعيدة عند المدخل الرئيس للمبني .... وقد كان يمشي ويُغني ... وقد ولج الآن إلى غرفته .. فيما المطر صار غزيرًا .. والريح تعلو وأمواج البحر تحدث جلبة وأصواتها متتالية مفزعة وموحشة، تنتهي في ردهات الفندق السياحي، الرابض على حافة الشاطئ. وقد كنت في عجلة ماشيًا تحت المطر ثم وجدتني بسرعة أطرق الباب .... .. لتقول لي:ـ ها عدت للحديث ثانية .. حتى إذا فتحت وجدتني ... فأقفلت مأخوذة الباب وبعنف قلت:ـ يا ملعونة إلى متى يمكنني أن أنتظر تحت المطر فيما تستمر مفاوضاتك ببطء شديد ... غمرتني بين ذراعيها .. وهي تقول ..:ـ لقد كان مفاوضًا وقحًا .. ثم قالت:ـ لكنه ذهب ليمنحك غطاء .. قال لي إنه سيعود ...

قلت:ـ نعم لقد راقت لك المفاوضات .

قالت:ـ لقد كان وقحًا إلى أبعد حدّ .. لكن كما تعلم المفاوضات مع أمثاله تحتاج إلى المزيد من الصبر. أضافت " ـ لكنه سيأتي وسوف لن يجدك هناك ... ضحكت:ـ ستتعثر المفاوضات.

قلت:ـ اطمئني .. لن يعود. وأضفت ساخرا:ـ على الأقل في هذه الليلة الممطرة .. فالرجل تعب ومن حقه أن ينام .

قالت في دهشة ظاهرة:

كيف؟ قلت:ـ لاشيء كل ما هناك هو أنني ذهبت في أثره وحين أعدَّ الغطاء لي كان مفتاح باب غرفته متدليا .. فتعاظمت الفكرة في رأسي .. وقد كان ما كان .

قالت:ـ ماذا فعلت بالرجل ؟

قلت بهدوء:ـ لاشيء ! كل ما هناك ... أنني أقفلت الباب خلفه ... لم أعد أسمع صوته لابد أنه يصرخ ... هذا من حقه !

قالت في دهشة:ـ لن يسمعه أحد فالرياح والمطر والموج ستمتص صوته .. ما كان يجب أن تفعل ذلك .. في الغد ستواجهنا بعض المتاعب .

قلت:ـ لا متاعب ولا يحزنون ... وهل ثمة عقوبة ستطالنا أكثر مما نحن به الآن .. كل منا ينام في مكان .. وأحدنا في العراء .. أنام في العراء؟ هذه أقصى عقوبة يمكن أن أنالها في حياتي .. أن أرافق امرأة ثم أجدها وقد نامت مقرورة بدوني. ضحكت السيدة ودعتني للجلوس مقترحة أن نجمع السريرين وأن نجعل منهما سريرًا واحدًا. وقد تمّ ذلك بسرعة فائقة، ودخلنا الفراش معا بقليل من القلق، كان الموج من خلفنا يضرب الصخور ويعانقها بعنف ... كان يصلنا صوته

متصاعدًا وكنا نستمع إليه، وإلى المطر في الخارج، وبدا أن النعاس يشاغفنا وربما وقعت تحت تأثيره جراء التعب، لكنني فوجئت بالسيدة تقول لي تحت أزيز الريح والمطر:

يبدو لي أن الباب يدق؟!

قلت:ـ نعم يبدو ذلك. فنهضت فزعة وهي تقول:ـ ربما هو.. سأتدبر الأمر معه.

قلت:ـ لا .. ظلي في سريرك ... ودعي الأمر لي وقد نهضت فعلا ماداً يدي بهدوء إلى الباب وفتحت ... لكنني لم أجد أحدًا؟.

وبدأ الموج يعلو من خلفنا ويرتطم بالصخور والريح تعوي والمطر يصّب باتصال.

---

* بنغازي 1993/1/12 ف.
* البيضاء 1993/1/16 ف.
* رأس الهلال 1993/1/17ف.

عيون السمك الميت

قالوا منذ زمن إنّ مؤخرات البحارة دائما باردة، تمامًا مثل تلك الصخور التي يجلسون عليها طوال نهاراتهم .

وكنت لا أصدق ذلك، بل كنت أسخر من المثل السائد .. بأن فلانـًا بارد مثل مؤخّرة بحار..

وها هم الأربعة رجال الجالسين الآن على الشاطئ الصخري قد صاروا يستشعرون ذلك، ويقفون الواحد تلو الآخر فينفضون مؤخراتهم ببطء، منتظرين أن يسري الدم فيها فقد عزلها الجلوس طوال يوم كامل عن أجسادهم. وقد كنت أحدهم حين أحسست عن كثب بوطأة ذلك، فمنذ الفجر ونحن هناك ولا شيء .

لا شيء في الأفق سوي نوارس البحر، والخيمة مشدودة إلى الصخور لعدم تمكننا من دق أوتادها في الصخور المتدة بطول الشاطئ .. فكانت بذلك بعيدة عن اليابسة وفي مواجهة الشمس من أجل الدفء .

فالشمس ستدخل الخيمة، وستكون دافئة في الليل قال أحدنا: لا شيء قال آخر ليس سوى النجوم في السماء تراقب خيبتنا عن كثب.

قال أحدنا وقد كنا جميعا نتكلم في الظلام .. وقد تذكر بالتجربة أن ذلك سيكون سيئا بالنسبة لنا .. كلكم بلهاء تراهنون على حوت في البحر.. أضاف وهو ينفض عجيزته الكبيرة المكتنزة .. وكان يجب أن نجلب معنا يوسف فهو صائد سمك ما هر.

قلت له .. ولماذا لم يأت؟ أم أنك فقط تتمنى عليه. ما الذي منعه .. سيارة الأجرة؟! هذا لا يصلح حتى لقيادة عربة يجرها حمار..

قال واحد من الخلف فيما نظره ما زال يراقب حركة الماء : السمك لا يحتاج إلى حظ ـ أضاف ساخرًا ـ أعطني حظًا وارمني في البحر!؟

ولكن الحظ .. إذا كان لا بد منه .. لا أعتقد أنه من الضروري أن تذهب إليه حتى قاع البحر.. لا بد أن يأتي إلينا ..

وضحك .. البرجو.. وهو يتساءل أليس خطأ؟ .. فلابد والأمر كذلك أن يكون كاملا وأن يدق أبوابنا .. نحن البحارة .... بلا حظ .. نحن دائما هكذا لا نرى سوى عيون السمك الميت .. فحياتنا كلها مجرد تأمل في الموت، والسمك لسوء طالعنا لا يموت الإبين أصابعنا. .

لم يرد عليه أحد .. لم يفهمه أحد فقد بدا وكأنه فيلسوف رحلة الصيد تلك .. وهم جميعا يعرفون أن الحظ لعبة كبيرة .. للبحارة ولغيرهم .. للجميع ..

قال فرحات أخيرا بما في ذلك ما حدث للحاج " عوض "حين وقف ذات مرة رافعا بنطاله إلى ركبتيه، جالسًا على الشاطىء واضعًا قدميه الحافيتين على (جلون) صغير وجده ملقىً على حافة الماء فيما كان الموج يمشي فوقه ويجيء. وكان الحاج ـ عوض ـ يتابع ذلك بعينين زائغتين جيئة وذهابا .. فجأة .. وجد أحدهم يقف

أمامه .. أشبه بتمثال برونزي رجل أسود فاره الطول عريض وعار.. قال بلا مقدمات :

هل تريد هذا " الجلون " أم أحمله ..؟

خذه قال الحاج " عوض " مذعورًا .. لا أريده !. وفي الأثناء مدّ الرجل الأسود يديه اللتين تشبهان مخالب النسر وحمل الجلون - بينهما .. ثم استدار نحو البحر ومشي خطوات سريعة .. ثم ألقى بنفسه كسهم داخل الماء ..

قال الحاج - عوض : لقد شقّ البحر شقًا .. إنه يشبه القوارب الكبيرة التي تغادر الشواطيء وفيما هو يبتعد تاركًا خلفه انجرافًا أبيض في الماء، زوبعت ريح حامية خلفه حتى أدارت رأسي من هولها فوقعت أرضا ..

شيء لا يصدق .. لكنه حدث معي قال الحاج - عوض - وهو يتحدث للناس من حوله .. إنه مشهد لا يحدث إلا في البحر لقد كان في ذلك - الجلون - سر.. حكاية قديمة تلك، كان رواها فرحات في أواخر الليل. وقد قال الجميع بفم واحد .. إنه الحظ .. ياله من بائس. كان حريًّا به أن يفتح الجلون .. أو يرفض منحه للمارد لا بد أن به ذهبا أو جواهر.

قال البرجو.. لابد أنه جني كان بداخل القمقم، مثلما حدث مع يونس - حين خرجت إليه حورية وهو نائم على الشاطيء عاريًا ..

فغطته فأحسّ بالدفء .. لقد نام في أول الليل و الحرّ شديد وحين مطلع الفجر اشتد البرد فأحسّ به .. لكنه تكاسل عن رده فإذا بحورية رأته وهو ملقىً على الشاطيء فخرجت وغطته برداء كان بجانبه.

لقد رأفت به فأحسّ بأصابعها وبالدفء معا .. فخيلّ إليه أن أحد اللصوص أراد به سوءًا .. فنهض وحين التفت كانت خيوط الفجر ما زالت رمادية وكان الليل ما يزال غطاء كبيرا على الشاطيء.. وقد تمكن من أن يراها وهي تغطس في الماء مثل سمكة .. فظنَّ أن ثمة معجزة حدثت له .. فنهض ماشيًا في أثرها على الشاطيء .. كانت سمكة مشت إليه من البحر وعادت. قال لزوجته :

لقد غطّتني بأصابعها .. إنها امرأة ... وقد رأيتها تغطس في البحر.

قالت زوجته وهي تسخر منه .. هي أنا نهضت إليك لقد أحسست بالبرد في عظامي فهرعت إليك سارية .. وضحكنا طوال تلك الليلة ..

شيء مهوّل هذا الذي يحدث على الشاطيء قال العرفي .. أضاف إن في البحر لسرًا وفي السمك لسحرًا وفي الليل لأمرًا. ضحكوا تلك الليلة وقد فقدوا الأمل .. فناموا.

وها هم الآن ينفضون البرد عن مؤخراتهم وقد تحوّلت إلى قوالب ثلجية .. ولا سمك في الأفق ..

- مجرد خراريف قال فرحات .. لا شيء لقد أفنيت أيامي وليالي هنا على الشاطيء وداخل البحر ولم أر حورية واحدة.

لأنك لست جميلاً قال العرفي .. ولأنك بِلاحظ .. أنت مجرد بحار منحوس .. اليأس يمشي في أصابعك .... .

لكنّ الحوريات لا تخرج إلا للزنوج وللبحارة القدامى .. وجميعهم بلا مسحة جمال تذكر .. ردّ فرحات :

- من قال لك ذلك .. لا بد بهم جمال ما .. فالشكل ليس مهمًا في مثل هذه الحالات .. وإلا كانت كل الحوريات من نصيب هذا الأملس بجانبك. وأشار البرجو إلى .. صالح الصامت طوال تلك الليلة.. وقد ضحك فرحات وهو يحس بخبث البرجو وسأله: بربك ألا تجد بي شيئا جميلا؟

لا شيء للأسف .. لا شيء سوى خراريفك عن البحر.. والحوريات لا تستمع إليك، وعليه فلن تظفر بواحدة منهن طوال حياتك .. ضحك العرفي من طرف قصي، وهو يعالج شبكة الصيد لإعدادها للرمي في الليلة القادمة وقال: كن جميلا يكن البحر جميلا؟

* * * *

ضحكنا جميعا .. ثم اكتشفنا أن الشمس وقد ارتفعت بدأت تبث أشعتها الحارة .. ولا سمك .. لا شيء على الإطلاق .. مجرد كلام.. وأساطير ومؤخرات باردة مُتكلِّسة.

* * * *

في الليل وقد انتهينا طوال المساء من طرح شباكنا في انتظار صباح اليوم التالي .. لجأنا إلى جلسة على هامش اليأس. تحدثنا كل

إلى نفسه. ثم كل إلى رفيقه. ثم قررنا أن نلعب الورق .. ثم اختلفنا حول سرقات العرفي، ثم قلنا لا بد من عمل شيء ما ... . وقد قرر البرجو أن يصنع لنا عشاء .

* * * *

مشيت إلى الشاطيء فيما انكفأ البعض على البعض، بدأت أمشي كانت النجوم واضحة والسماء صافية والشاطيء ساكنًا، كأن لا ماء فيه.

كل شيء ساكن .. ميت بلا حركة .. وقفت وبدأت أتأمّل الشاطيء واضعًا قدمي في الماء وهو يداعبني ببطء شديد. وقد كان بوسعي أن أستعيد كل الحكايات : الحاج عوض والجلون والمارد وأصابع الحورية وهي تدثر يونس على الشاطيء ... . كنت إذ ذاك قد ذهبت إلى القاع والبحر الساكن والنجمة خلفي والبحر يتحرك بهدوء بالغ بلا صوت .. وقد بدا أنني ذهلت ... . خرجت حورية مرفوعة بين يدي مارد ويقبّلها ويدغدغها بأنفه فيما هي تتملص عارية بين كفّيه مستغيثة .. قلت لا بد أن أشعره بوجودي .. ربما يفزعه مرآى .. هذه حورية تُغتصب .. غير أنني أجلت ذلك واندفعت تحت الماء .. قلت .. حتى لا يراني .. وبدأت أراقبه وهو يحملها ويتجه بها إلى الشاطيء ثم يمسكها بكلتا يديها وهو يقول لها :

هنا لن يرانا أحد .. أضاف وهو يمسح بأصابعه على كتفيها ..

هنا على الشاطيء الحالم .. المضيء بالنجوم .. والخالي من كل شيء لن يرانا أحد، ويمكننا أن نستمتع بليلة مدهشة هنا .... .

وبدا أنها استسلمت له وقد جلست عارية تماما فيما ربت على خدها مستأذنًا وعاد إلى البحر كالسهم. لقد شقّ البحر شقا. إنه يشبه القوارب الكبيرة وهي تغادر الشواطيء، وفيما هو يبتعد تاركا خلفه انجرافا أبيض في الماء .. جلست وحيدة في انتظاره .. لا بد أنه وعدها بشيء ما ... . ويبدو لي المكان راق لها والخلوة والشاطيء المهجور ... . قلت: أمشي إليها .. أنقذها منه .. ثم عاودت نفسي كيف يمكن إنقاذها منه؟ .. هل أعيدها إلى البحر؟ هناك هو في انتظارها، ورجحت أن أذهب إليها وليكن ما يكون وهممت .. غير أن ـ المارد ـ أطلّ كالنسر من بعيد وألقى بنفسه على الشاطيء.

قلت هذا جني حقيقي .. وقد جلس أمامها مقبلا جبينها، وبين مخالبه ـ جلون ـ وضعه بين يديها قائلا .. وهذا لك .. و فتحه .. لقد أضاء في الليل .. بالجواهر والعقود واللّآلئ.

هذه منذ الآن لك .. ثم سحبها من أصابعها ووضعها فوق صدره وتمدد مستلقيًا على الشاطئ تحت النجوم

هل سيمارس الحب معها .. هذه حورية .. كيف يمكن أن يحدث هذا بين مارد وحورية؟! لكنه حدث ... . ! لقد مدّ أصابعه وأزال الغطاء السفلي عن منتصفها فبانت فوق الرمال لامعة ومضيئة ..

صارت بين ذراعيه امرأة حقيقية وساحرة ... . وصار يحتويها بما يشبه السحابة حين تحيط بالقمر ... .

بدا أنهما استغرقا تماما في لحظتهما تلك .. غابا واندمجا فذابت داخله ... . أشبه بقطعة حلوى في فمه.

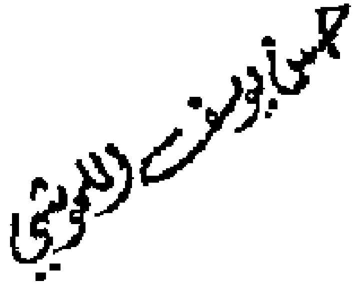
ثم صارا يتقلبان على الشاطيء .. ويتباعدان ..

فكّرت في الجواهر ... . لقد لا حت لي مكوّمة مثل كوّة الجمر وقد أخذت بما رأيت ... . قلت : لماذا لا أتسلل إلى مكانهما وأحملها معي و أعود؟ هذا ما حدث فعلا ... . لقد كانت مكومة مثل النجوم فحملتها جميعها ... . وركضت إلى الأصدقاء وهم بعد في انتظار العشاء الأخير ... . لقد أصابتهم الدهشة .. فحسدوني .. ومنذ تلك اللحظة فكرت في تجاهلهم .. لقد كان حظي عظيما ... .

❊ ❊ ❊ ❊

في صباح اليوم التالي .... كومتها أمامي .... لقد هالني ما حدث .. كانت عيونًا مضيئة لسمك ميت .... ؟

* نشرت بمجلة - لا - العدد 31 لسنة 1993 ف.



وحشة المكان *

في فضاء الرغبة والجوع، والتماس الدفء، ولدت طفلة هناك، وحيدة لرجل نبت هناك منذ نصف قرن، مثل شجرة الرتم المندغمة في الطين، وكبرت بين يديه على مدي عام كامل، يرضعها حليب الضأن والماعز ويدفع عنها البرد والليل، وعواء الذئاب في أرض يباب متشابهة صخورها، ووديانها وهضابها ومنخفضاتها، حتى لكأنها لوحة واحدة لفنان مبتديء لا يتقن فرز الألوان .... أرض شهباء بها رعونة مزمنة وتبلد تليد، يعود بحسب حكايات الجدات إلى عصر الطوفان الثاني، الذي مسح عنها كل شيء، ولم يبق منها سوى هذه الشجيرات الميتة وقوفًا على حافة وديان متهدمة، ومنجرفة جراء سيول تعبر خلالها إلى البحر البعيد .. البحر الذي لم يتمكن أحد من سكان تلك المنطقة النائية من أن يراه عن كثب. وهاهي في العشرين من عمرها تقف خلف قطعان الماعز والضأن، وتمد يدها للكلاب لكي تأتنس بها حتى غسق مساء بارد يتكرر دائما في منطقة العزيّات والمخيلي " ثم إذا ما الشمس استدارت إلى الخلف راجعة إلى البحر البعيد انكسرت هي وشياهها إلى النجع القابع مثل عقد من صخور متوحشة على بعد النظر، حيث من ثُمَّ تنام، وقد أذن الديك للتو آذان المغرب فوق "بونية" مثقوبة تنام تحتها عشر دجاجات وبعض الصيصان الصغيرة، وفي صباح آخر تنهض شقيقتها ـ زينب ـ من فراشها لتطلق سراح الماعز الذي سيغادر إلى ما وراء الهضبة التماسًا لأعشاب تنبت غصبًا وتفتح أرضًا مشققة، وتخرج في أول هبة ريح جالبة للمطر.

ـ زينب شقيقة ـ مريم ـ الأخت الكبيرة المولودة قبلها بسنوات ثلاث، وبعد أن ألمّ بالوالدين نأى المكان ووحدة الابنة، صارت زينب شقيقة ثانية لمريم .. فكبرتا معا وصارتا ترعيان القطعان وتقفان بمثابة رجلين لعجوزين في صحراء العزيّات. اليوم تقول مريم لشقيقتها ـ سأذهب أنا مع القطيع، وفي الغد ستذهبين أنت .. هكذا سنتقاسم المهمة بيننا، ولا تدريان أنهما تتقاسمان الزمن بينهما، والكرة الأرضية والهم، فقد كانت الأرض ممتدة والسماء فوقها ولا شيء هناك سواهما.

كانت وحشة أن تذهب مريم أو زينب لوحدها خلف قطيع ركض في براري الجوع والكلأ المعدوم و الأرض الوعرة الشهباء المتشابهة. كان العمر يمشي متشابهًا مثل قطعان تتشابه، أو صخور أو حطب ظامىء تالف من الريح والشمس والأتربة، وقد وقفت مريم هناك بإيناس مع الكلاب تركض متوجسة من الذئاب الشرسة، فالذئب هناك كان عدوا مباشرا، لا يتردد في الهجوم لحظة أن يروق له ذلك، وها هي في مساء موحش تعود مذعورة تحت وطأة خوف ألم بها. جراء عواء متصل لجوقة ذئاب تحت الهضبة الممتدة قبل الوادي بقليل... وادي الريح المفتوح حتى البحر. أوعزت زينب لوالدها أن الوحشة تتربص بهما وهما تقفان في المكان المفتوح على الخوف. قال: يمكنك في الغد أن تتجهي إلى الشمال حيث الرعاة والقطعان. وهذا ما فعلته زينب في الصباح التالي لتقف عن كثب على حقيقة أخرى مذهلة، هي أن ثمة راعيًا وحيدًا يبحث عمن يؤنسة في الخلاء. صباح

الخير قالت له، وقد سلّم كلاهما على رفيقه، وتحدّثا معا، هذا المساء المختلف عن كلّ المساءات. قالت زينب لشقيقتها مريم:- إنه هناك سيكون مؤنسًا لك، إنه وديع ومضحك، ستقضين معه يومًا طيبًا. وفي صباح آخر كانت مريم تتحدث معه عن الْعَلَم [1] وصوب خليل [2] وتجرّه من لسانه إلى لغة الحب. قال لها:- " أعطاش وريهن في ليد ملازيم وألما قبالهن"[3]. قالت له:- " الصبر خير وشوي ذنب، وأكثر جميل، وأولا مالبكا"[4]. ويغادران مبتسمين. احتفظت مريم لنفسها بسر الكنز وطمرت في قلبها اللوعة ونصحت زينب أن تهتم بالقطيع ولا تنصرف إلى الضحك مع الرجل الغريب، لكن زينب التي أحاط بها الفراغ هناك سعت إلى يوسف، مدت له طرف الكلام فغني لها. وغنت له. وامتد بها الليل حتى ما بعد أذان الديك هناك فوق " بونيه " الدجاج حيث تقبع عشر دجاجات وصيصان، وبيت شعر تنام تحته عجوز في الخمسين، مع زوجها الذي انتظر زينب ثم نام.

التمست مريم لأختها العذر أن تتأخر وقد شاروها شيء ما، ودفعت عن نفسها كل الشكوك، وخرجت تفتح لها سور الزريبة لتطمئن على القطيع من الليل والذئاب.

قالت زينب:- لقد كنت أودّ العودة المبكرة لكنّ القطيع الذي وجد طريقه إلى الأعشاب امتدت به السبل إلى قعر الوادي فتركته يسعى رأفة به. - يوسف ؟ قالت مريم - وهي تنظر بعين مفتوحة على الشك .. يوسف أين كان إذ ذاك ؟ كان معي .. قالت زينب :

انغمست في الفراش ونامت. كان ذلك يحدث كل مساء .. هما فتاتان يتقاسمهما يوسف وتتقاسمانه، وفي كل واحدة منه، حالة مرعبة قلقة متوجسة، تناديه، وتستحثه إليها، تلتمس عنده انطفاء النار. مريم الكبيرة المفتونة بجسدها الوارف كشجرة. وتورد خديها في الصبح الباكر وشفتيها وهما ينفتحان على الصباح مثل زهرة برية طرية وزينب الجذلي الناعمة .. الطويلة الهيفاء، الراقصة مثل فراشة في ربيع العزيات الممتد عبر الأفق، فتاتان تُعرفان بالإشراق وقد أولاهما العجوز كل همومه من الرعي إلى الشئون البيتية، فكانتا تكبران وبهما إحساس المسئولية الكبرى، غير أن مجيء يوسف هذا حطّ بينهما طائرهُ الرمادي فصارت كلّ منها تريده لها دون أن تعلم الأخرى بذلك، فيما هو صار يبارك في نفسه خبثها ويزهر فيه حلم الاحتواء والتلذذ بجسدين طريين في صحراء العزيان والمخيلي " وكان له ما أراد. وها هي زينب تنتظره هذا الصباح فيأتيها .. وبدورها مريم تنتظره في اليوم التالي فيأتيها .. ما ألعنه من ذئب، فقد حفر في كل منهما الأمل بأن يكون لها، هكذا كان يعاود اللعبة في رأسه. وها هو يضع يده على خذ مريم قائلا لها .. ـ أنت غالية يا مريم .. أغلى من أي امرأة في الدنيا، تمد له يدها مستسلمة. ـ كنا معا .. وقد صار أنيسا لي. هكذا حدثت نفسها! دخلت مريم بلا كلام، ،قد اندفعت من فورها إلى فراش بارد ينتظرها مبكرًا مثل كل يوم، وبه تتعذب من وحشة تلم بها وبرد يعض، هواجس من شبق ينهض في جسدها

كلما طرق ذاكرتها يوسف بصوته وغنائه وبحديثه العذب المغموس في الأحلام. ـ هل أراك كل يوم ؟ قال لها ـ ستراني يومًا بعد يوم.

ـ هذا جميل سأتعلّم كيف أقاوم شوقي إليك ـ هذا شيء مبكر.. لماذا يحدث هذا معك ؟ ها أنذا أراك وكأنني لا أراك. وضحك يوسف... ضحك وهو يغمز بعين خبيثة .. وقال:- سأغني وسيكون صوتي مرتفعًا.. وبوسعك أراك، أن تكوني معي. وقد غني يوسف في ذلك المساء الطري، غني كما لم يُغنِّ من قبل، لكن الريح الملعونة حملت صوته إلى أقصي الشمال حيث قاع البحر. وكان أن وجد نفسه يتحدث إلى زينب طوال المساء. تقلبت زينب في فراشها .. تمددت بدورها مستحضرة يوسف إلى جانبها لتتدثر به، وترد به الليل، والوحشة، الشبق والجوع. كان حاضرا هناك ينام مع الاثنين وفي كل واحدة منهما لهفة له، فتستعيده إليها وتمد له يدها في الظلام وتدخله معها عاريا فيقبض عليها مثل حفنة جمر، ثم يتكيء بها على شجرة الرتم فتصبح في لحظة بين ذراعيه، فلم تتوانى في أن تضحك إذا ما صارت أصابعه تلم جسدها العاري بعنف فتنهمر بين يديه، وتحت جسده فتنتشي بالالتصاق والدفء، تحت عين الشمس، تنحدر من خلفهما إلى مغيب مُبكر وصباح هناك لتيوس تلبلب في أثر الماعز الذي يروق له العبث عند الغروب. لم تقو مريم على النهوض. وقد أحست بأن يده تمتد إليها ليمشيا معا في صمت ووجوم، وفي كل واحدة منهما سر لذة مفتقدة منذ زمن، في الصباح الباكر كانت زينب تتحدث إلى يوسف عن شقيقتها الكبيرة مريم. ـ يا يوسف ... ستقف بيننا .... إنها

تحبني .. إني أحبها قال:- لن يقف أحد في طريقنا .. سنهرب معا سنمشي إلى المدينة!ـ ولماذا نهرب يا يوسف؟ قال:ـ نهرب من مريم؟! وهربا معا .. هربا معا .. هربا معا، وقالوا لقد هربا معا ... قالت مريم: ـ يا أمي لقد هربا معا. قال العجوز: ـ هربت الملعونة .... قالت مريم: ـ لقد هربت بكل ما أملك! أنها هربت بي أيضا!

ـ هربت زينب ... ـ ركضت الكلاب خلفها .. ابتعدت، تصاعد صوت ذئب في البراري، ثم عوت ذئاب الغسق، وقد ولغت في دم القطيع المسفوح .

(1) العزيات والمخيلى - مكانان في شرق ليبيا -

(2) العلم .. رمز من رموز العشق في الأدب الشعبي الليبي.

صوب خليل: هو موال الحب - لغة الحب - مفردات العشق في الأدب الشعبي الليبي.

(3) أعطاش وريهن في ليد إلخ - أغنية شعبية ليبية - تعنى أن ترى ما تريد وتحرم منه في الحب!

(4) الصبر خير إلخ ...... تعني أن تصبر خير لك من البكاء والعويل وأقل ذنبا ..

تمثال من نحاس

مدخل

في يوم آخر حزين كتب إليها في ورقة صغيرة: أنت يا الحاضرة في الغياب أنت يا امرأة أخرى، سأكتب إليك منذ الآن ... .

ـ 1 ـ

بالأمس عند الأصيل لامست بشغف ظاهر جسد البحر، وقد مد إليها أنفاسه متوسلا أن تستلقي بين ذراعيه، ثم وقد اندست داخلة لفها عميقا لكي تتوارى في لذة ساكنة هادئة، ممزوجة بلحظة التواصل المنتظرة مساء كل يوم .

ـ 2 ـ

كنت إذاك أمشي إلى موعدي هناك حيث سيدة تنتظرني بعد أن راق لكلينا أن نلتقي بُعيد المساء في طرف المدينة عند الشاطيء، ثم نلتمس لنفسينا زاوية تطوينا عن الناس والعالم .

ـ 3 ـ

مشيت فاستغرقني الحلم، قلت وقد حدثت نفسي بصوت عال لا يسمعه سواي .. ماذا ستقدّم لك امرأة ذاهبة إلى الثلاثين؟ ماذاً يمكن لامرأة ذاهبة إلى الثلاثين أن تقدّم لرجل في الأربعين .. لاشيء حتى وأن ظنّ بنفسه غير ذلك سوى، أنهما يتحدثان عن

الطقس وليل المدينة والأصدقاء .. أقنعت نفسي بذلك وحاولت أن أنسى حديثها بالأمس عن الأحلام والغد .

هي امرأة جميلة حقًا لكنها أيضا ذات شخصية مركبة وقلقة وحائرة .. بها حالة من التجاوز للأنماط التي تراها كل يوم فتشعرك دائما بخيلاء عالية ... في عينيها لون البحر، وفي شفتيها لذة كامنة، متوارية، ومُعلنة ... امرأة تتألق حتى تصبح نجمة، يشعر تجاهها الكل بالاستحالة، واللاّممكن . امرأة بعيدة جدا حتى وهي تتحدث إليك .. أسطورية كأنها من حوريات البحر .. وقد راق لي أن أشعرها دائمًا بذلك وكانت تتلذذ بهذا السخاء وقد تماديت في الإعلان عنه .. .

أنت رائعة .. وجميلة .

كانت تنتشي مع وقع كلماتي ..

كنت صادقًا .. فأحببتها .. وتماديت .. لكنها كانت تتوارى خلف عينيها، كانت امرأة استثنائية في كل شيء ..

.. في شعرها يمشي مع الريح مثل موجة .. في إطلالتها وقد لفّها الكبرياء .. في دواخلها

وهي تتبرأ مني .. !

كانت امرأة مستحيلة قبل أن أعرفها وقبل أن أراها . وبعد أن عرفتها أدركت ذلك عن كثب .. إنها موجودة هناك .. لم أرها، وحين

التقينا في الزحمة .. راقت لي، سكنت خلاياي كانت فراشة حقيقية.. ومدهشة وقد سكنتني إلى حين .

صرت أمشى إليها وهي تراودني .. تطرف ذاكرتي بكلماتها النحاسية وكانت في أغلب الأحيان امرأة نحاسية .. بلا مشاعر.. بلا دفء .. تراها فتقودك إليها مثل فراشة يستقطبها ضوء ثم ترفضك بلا مبالاتها القاتلة .. امرأة تتلذذ بحالة الكبرياء التي تسكنها .

كانت دائما تواجهه بهذا النحاس الذي يلوح في تفاصيلها وكان يدس ذلك إلى أن اختليا معا ! فحدثته عن نفسها بصدق وكأنه صديق قديم عاد إليها .. لابد أنها تحتفظ له بشيء ما .. راقه حديثها وصدّقها فأحبها .. كان مهيئًا لكي يحبها .. فيستمع إليها ... قال وهو يمشي إليها وقد توارت الشمس : لقد تأخرت عن موعدها .. كان يجب أن أركض إليها .. فالسيدة تنتظر هناك الآن وحيدة ترشف قهوتها . .كان يجب أن أوفر المزيد من الوقت كيما يداهمها القلق فتعلن غيابي فتمشي ساخطة ..

حث خطاه .. مثل زوبعة .. مشي إليها .. وحين وصل وقد شاغفته لحظة الخلو بها لم يجدها .

في اليوم التالي وجدها جالسة .. وحيدة تقرأ سألها ..

ـ أين أنت في موعد الأمس؟ أجابت .. وأين أنت؟

وابتسم معا، ثم اقترب منها :

ـ تريدين الحقيقة كاملة ؟

قالت :

ـ نعم .

قال :

ـ إني أحبك .

ثم نظر إليها لاح الزجاج في عينيها والنحاس يلمع في تفاصيلها وقد قالت ببرود :

ـ لكنني لا أحبك .

قال محتجّا .. حتى الآن؟

قالت .. نعم .. حتى الآن؟

وتغادرا .. .. . .

الخائنة

الرجل الذي يهيء نفسه الآن للخروج من بيته في هذه الساعة المتأخرة من الليل .. وجد مبررًا منطقيًا لهذا الخروج .. وصار يستعد ليواجه به زوجته .. النائمة الآن في غرفتها . ثم أنه وقد هيأ نفسه لمقاومة الذنب الذي سينهض مع جسده بعد عودته مباشرة ... اقترح على نفسه أن تكون درجة المقاومة لديه، أقوى من ضُعفه تجاه عرض الليلة. وهو يُقدم إليه بشكل مباغت، مفاجيء، استفز كل طاقات خياله العادي، وحرضه على التفكير، ثم أذعن له، وعندئذ انصرف إلى تهيئة كيانه تمامًا، وذلك بالانخراط في تخيلات افترضها، وصورها لنفسه، بشكل مُغر، وسامر ليقودها إلى حيث وليمة في انتظاره .. ثم ها هو الحديث يعاوده

ـ سأنتظرك ....

ـ الليلة؟!

ـ الليلة .. الليلة ..!

ـ أنا؟ !!

ـ أنت بالذات .. الليلة .. بعد الثانية عشر .. سأكون في انتظارك .. هيء نفسك جيدا .. لا مبرر لطرق الباب .. أو إضاءة النور. فقط تسلل بهدوء القطط .. أسمعت ؟ .. هدوء القطط إلى غرفتي. تدحرجت في داخله كومة من الشكوك .. ساوره شعور الغنيمة في

الوقت نفسه .. ثم حاول أن يقاوم ذلك ليتيح لنفسه فرصة أن يفكر في أمر هذه المرأة اللعوب .. التي طالما حيرته .. وأوعزت له باليأس .. ثم ها هي تدعوه الليلة للدخول إلى غرفة نومها .. لكن الحاجة إليها طردت كل شك .. ومنحته فرصة أن يفكر في الطريقة المثلي للوصول عاريا إلى غرفة النوم .. ليحقق القدر الكافي من اللذة المنشودة .. فأوعز لنفسه أن يستعد لذلك .. وها هو يتحرك بخفة ويحس سوى بالمغامرة.. وبقليل من الخوف .. الخوف الذي طرده بشدة عن جسده الملهوف .. لكن لماذا الخوف . تقول لي تعال الليلة .. والشقة مجاورة .. وليس سوى خطوة واحدة ويكون في أحضان امرأة من لهب ؟ وها هو يقف ويعالج كل ذلك في دواخله .. ثم يستعيد بهدوء الكلمات التي استمع إليها وهي تتحدث إلى زوجته .. وقد انتهي إليه ضحك مكبوت بينهما وقد أحاله ذلك إلى شك صغير طرده من فوره بمجرد أن قال لنفسه :ـ إن الجارة عندما تلقي جارتها لا تفعلان شيئا سوى المزيد من الضحك المكبوت .. ثم إنه لم يبادر إلى استدعاء شكوكه المعهودة حول خبث زوجته. . ليطمئن إلى مغامرته القادمة .. مكتفيا بالإيعاز أن لا عليك ... فهذه الزوجة المملة مثل الإذاعة ستنام مبكرا ولحظة أن أتسلل إلى الجارة التي لابد أنها الآن تتهيّأ لي .. لكنه استقبل الآن صوت زوجته من الداخل :

ـ هل ستنام ؟

ـ قال : ربما .....

ـ قالت له : أمس على خير

ـ قال : أنت أذن مازلت صاحية ؟ تصبحين على خير. ـ الليلة سيكون كل شيء على ما يرام .. ستكون المرأة اللعوب بين ذراعيك .. ستنقض عن جسدك رغبة طالما استعبدتك .. وبدأ يحدث خاطرا وقف داخله ويعده باللذة. . وها هو يلبس الظلام ليدخل مع باب موارب هيئ له .. ليتسلل عبر ممرات الشقة المجاورة في غرفة نوم السيدة .. التي تحسس الطريق إلى فراشها لكنه لم يجدها .. رواده خاطر بالعودة من حيث أتى غير أن رائحة عطر نفاذ انتهت إليه من المصدر.. ويدا امتدت إليه لتقوده إلى الفراش .. فانغمس في لحظته تلك .. واضعا كومة اللحم بين يديه منخرطا في حالة شبق قصوى .. فدس أنفه في صدورها متواريا في غيبوبة كاملة .. حادة عصفت به وبها .. فكلاهما يحتاج إلى تلك اللحظة العمياء المتوترة منذ زمن خلف حنين خفي ظاميء وقد منحها فرصة أن ترتوي منه في إطار صمت لا يتكلم فيه سوي اللحم وهو يلتحم ببعضه مثل حطب في نار مستعرة .. وأنفاس تترى .. تلاحق مع همس أبكم وغمغمات لا تقول شيئا . كان عطرها قد عزله عن العالم .. فاستبد به .. وقد انتشلته من هواجسه .. وخوفه همس: ـ كم كنت أتحين أن نكون معا. ـ سأغزوك مثل غجري كل ليلة ـ أحبك. ـ أحتاج إليك. وها هو ينتشل نفسه بهدوء من الشك إلى منطقة الأمان في شقته المتاخمة لمكان المغامرة .. متسللاً بهدوء وثقة .. حتى إذا تحسس فراشه .. تمدّد بهدوء .. مادًّا يده إلى ضوء صغير بجانبه وقد التفت إلى مكان زوجته .. فلم يجدها..

داهمته إذا ذاك حيرة عارمة وكلم نفسه بغضب:ـ هل استيقظت؟ أم تراها لحقت بي؟ أنها امرأة ملعونة .. لابد أنها راقبت خروجي عاريًا من الشقة .. وقد وقع ضحية الشك وقلق ألما به .. غير أن زوجته ظهرت له عبر العتمة . ـ

ـ أين كنت؟ سألها .... وكان العطر غمره .

ـ وأنت أين كنت؟ أعادت إليه السؤال .

ـ كنت في مشوار أبلغتك إياه ..

ـ قولي أين كنت ؟.

ـ كنت في شقة جارنا .. قالت له وهي تضيف متماكرة .. ـ لقد أمضينا لحظات معا. إنه رجل مدهش . ونهض في جسده غضب عارم .. وصفعها قائلا أيتها الخائنة .... ؟

غزال في خلاء الروح

الإهداء:

إلى ذلك القلب الكبير

أعشاب الفجر الخضراء المولعة بالنسيم جذلي توشوش بعضها بعضًا تحت شفة غزال للتو عانق الوجود بين قدمي أمه الوجلة يماميء وهي حذرة فيما تحت مظلة اطمئنان يشاغفه وسط ربيع ملون مبدد عبر الهضاب وأعشاب طرية تتسابق إيثارا إلى فمه وعينيه تقبله و تمنحه نفسها ودا مرحبة بغزال يماهيها في ربيعه المفعم برائحة الوجود الطلي .

الـربـيـع

ملأ فمه ثم حرّك رأسه عبر أفق بعيد وامتد الخلاء أمامه مزهوًا وملونا، قفز عبر تخوم منخفضة . واطئة هينة مرسلا خياله الجامح إلى الدنيا بأسرها وقد تراءت له واسعة إلى أبعد من رؤاه. قفز..، قفز حتى ابتعد إلى ثلة مكنته من أن يرتفع بنفسه عن كثب فيرى ظهور الغزلان الصفراء المحجلة بالبياض، تتناسق مع ظهره المبلل بماء الحياة الذي غسله وحفظه وطهره إلى أن صار اللحظة لبنة من لبنات الكون .. قفز.. وقفز.. وقفز.. وابتعد .. فيما أمه تمد له عبر عينيها الحنان والرأفة والوصايا كن هنا ولا تكن هناك ..! العب هنا ولا تبعد هناك ...! مأمأ .. وقفز.. ثم مأمأ وقفز.. متلاعبًا بالوجود ..! اقتربت أمه .. اقتربت منه .. مسحت ظهره بالحنان ودغدغته بالحب.. شرعت تحدثه لم يجد الوقت الكافي ليستمع إليها يلاحق عشبة تلوح له من بعيد .. قطفها وعاد .. ثم عاد إلى طرف قصي وقد شرع

يمامي..! جذلا وسط حفنة من رفافه المبللين بماء الخلق الأول ومازال عرق الأمهات يغسلهم يعرفهم برائحته . لعبوا .. ثم لعبوا .. ابتعدوا ثم ابتعدوا .. استرخوا وناموا هناك .

أعشاب الفجر

تحت جناح الفجر الأبيض نهضت أعشاب، فأعطى الزعتر رائحته للمدى، والشيح سكب نسيمه في الدروب، فيما الأقحوان بدّد لونه في الهضاب، وزهور تفتحت، وسيقان اشرأبت في الفضاء، قال غزال لغزال : لنلعب " وغزال لغزال " لنقفز " وغزال لغزال " لنتوارَ "

ـ وقال الغزال الذي أسمته أمه نجيبا: وهل هذا الربيع لنا جميعًا؟!

ـ قالت الأم .. يولد الغزال، حين يولد، وله الربيع كُله ...

ـ قال الغزال الابن " وأنت .. لماذا أنت تتمادين في دعة عن الفرح وامتلاك هذا الربيع ..؟ ـ الليالي " قالت الغزالة الأم " الليالي لا تفتأ تنغص الفرحة حين تولد، وحين تلعب، وحين تمشي بيننا ..

ـ لقد لعبت معها .. أخبر الغزال الابن أمه. لعبت مع الليالي حتى تَعِبتُ، ونمتُ هناك، وها أنذا أعود إليك ...

ـ العب معها، العب مع من تشاء، حتى مع الذئاب، ولكن سترى أنها تخون، سترى أن الذئاب تخون.!

ـ وهل ولدتُ والخوف معي؟ أم ولدت والخيانة معها؟

ـ كلٌّ يولد وروحه معه ... الغزال غزال، والذئب ذئب، والربيع ربيع ...!

حكاية غزال

مشى الغزال الابن مطرقا عبر الهضاب انحدر متواريًا خلف أكمام الشيح والزعتر والقزاح والعنصل في بحث عن الذئاب الصغيرة التي قد رآها تلعب في أحلامه. صغيرة وجميلة تغني في جوقة، سارحة عبر الهضاب تمشي الربيع وتلتفت.

ـ هي خائفة أيضا من شيء ما، قال الغزال الابن في نفسه وبدورها خائفة من شيء ما. وكانت الأم وقد أمسكت به وعثرته بقرنيها ثم احتضنته وعادت به الآن إلى القطيع وهي توشوش له .. يا نجيب .. أتعرف لِمَ أسميتك نجيبا؟ أعرف لأ صبح مثله! لا ..! قالت الغزالة الأم: "ولا أحد في الدنيا يشبه أحدا، أريدك أن تذكرني به كلما أخذتني الأيام خلف التخوم البعيدة ..؟

ـ وهل هي بعيدة؟

ـ أبعد من هذا الذي نسكنه، وأظلم من تخومه، تلك الرّازحة وراء الليل.

الصبح

ـ أوه .. يا أماه .. تعالي نسوق الصبح أمامنا إليه .. لعلنا نراه

سيعود .. سيكون هنا في حضن الطبيعة حينما يصبح الصبح في اليوم التالي ... لقد تأخّـر هذه المرة .. لقد تأخـّر كثيرا ..! سيجيء .. فقط علينا أن ننتظره بهدوء وبلا ضغينة، وأن نتوق إليه وأن نناديه فيسمعنا ان في قلبه وجيبا بنا، وفيه رجاء لا يخيب .. أبدا .. أبدا .. وسترى ..! أريده الآن .. .! أمهل

- أمهل معي أمهل .. إن خلف تلك التخوم المعتمة تسكن النجوم التي ستهرع ألينا، ألم ترها حين لاحت ثم تبددت في ذلك اليوم .. ألم تـر اليد البيضاء خلف الظلام .. تلوح وتنادي .. ألم ترَ العيون والدمع فيها يُغني ..؟ ألم تر القلوب وقد كبرت والنفوس وقد رقصت والحب وقد استيقظ من سبات وموت؟ .

الأمـــل

وقف الغزال الابن في انتباه وأمل .. ومأمأ .. ثم قفز .. وابتعد .. إنه يبتعد قالت غزالة تتوسد نفسها .. سيبتعد .. قالت الغزالة الأم .. منذ اليوم لن يبتعد .. إنه في خلاء الروح .. أين له إلا روحي ..!

النشيد

تنادت الغزلان مأمأت وتحلقت .. وغنت ورقصت .. ودقت أبواب الفجر..

غزال في خلاء الروح

غزال .. غزال .. غزال

وأم تهز أيامها وتنوح

بكاء .. بكاء .. بكاء

ونهر يصب وصبح يلوح

صباح .. صباح .. صباح

غزال في خلاء الروح

غزال في خلاء الروح

غزال في خلاء الروح

نداء .. نداء .. نداء ..

" .... "

صيد الليل *

الإهداء إلى : سالم بازينة

(*) صيد الليل: حيوان بري له أشواك ظاهرة يدافع بها عن نفسه عند الخطر ويلجأ الصيادون إلى الكلاب المهرة أثناء مطاردته.

- 1 -

قال لي: هذه المرة - ستكون رحلتنا إلى الصيد سهلة، لكنها أقل متعة عن ذي قبل .

قلت: لكنني لن أضحّي بالمتعة ولذة المطاردة - مقابل أن نجني صيداً سهلاً ...

قال: هكذا هي الأمور، إذ بحوزتي هذا الرفيق - وكان يمسّد على ظهر جرو صغير الحجم فاقع اللون - وهو الذي يوفر علينا عناء أن نطارده طوال الليل بلا طائل ...!؟

كنا نتحدث أمام بيته وكنت ما زلت في سيارتي - فيما هو واقف على العتبة الثانية من البيت حافياً ببنطلون عربي وبطنه أمامه وفي يده ساعة نظر إليها وقال: ها ... ما رأيك؟!

قلت: الساعة الآن الرابعة ظهراً .... أعود إليك في الخامسة مساءً وسنفكر كيف نذهب معاً للصيد المريح ...!

قال وهو يريد أن يضحك ... لقد اشتريت هذا "الجرو" بثمانمائة دينار.. إنه مدرب وذكي وسريع وسترى كيف يُمكننا من صيد الصيد في لحظاتنا المبكرة .

قلت: إنه لا يستحق أن تدفع في رأسه هذا الثمن. إنه المبلغ

الذي بوسعك لو قررت ذلك أن تشتري به من الأولاد في سوق الأحد أكثر من ثلاثين صيداً وأنت في بنطلونك هذا، وتودعهما جميعاً في بطنك هذه، وكفاك الله عذاب الركض في الأحراش.

لكنني أريد أن استمتع بصيدي، بالقبض عليه هكذا، وقبض الهواء بمخلبه وضحك ؟.

والكلب!؟.

قال ضاحكاً هذا؟ ثم رفعه في الهواء وأعاده برفق إلى الأرض ـ وقد نظر الكلب في عيني نظرة مزرية لم أفهمها ـ أضاف: سيمكنني من الصيد الصعب في الأحراش، وأضاف: إن الله أراد له أن يكون رفيقي.. ضحك .. للكلاب أقدارها أيضاً !؟

قلت وداعاً ـ فيما الكلب لم يحد بعينيه عني ـ وقد غادرت فيما نبح الكلب خلفي وقال صاحبه: مع السلامة، تواشج صوتيهما معي!

ـ 2 ـ

الكلب في الخلف وأنا أقود السيارة بهدوء، وصديقي يتحدث عن مواهبه في الصيد، وعن إيمانه المطلق بممكنات كلبه السحرية، وأن ثمنه إنما هو يستحقه إذا ما نظرنا أنا وهو طبعاً إلى ما سوف يسديه إلينا من خدمات!

قلت: علينا أن نحط هنا وأن نُشعل النار ونشرب الشاي، ونتحدث مع الكلب ومعك عن المصير الذي ينتظر الصيد هذه الليلة..!

ضحك ـ قال بفخر واضح ـ: أي مصير سينال الصيد وقد جئت له بهذا الجرو المدرب ؟

قلت ـ الطبيعة ستدافع عن نفسها، وعلينا أن نتوقف عن الخوض في الغيب !

النار ارتفعت، شكلت ألوانها، ارتفعت حرارة المكان، أزاح الدفء برد الخريف، المتقلب، دعوتُ الكلب للأكل، رفض أن ينظر إليَّ ـ أحسست تجاهه بالعطف، وقلت لابد أننى شككت في مواهبه فعلاً، وإلا ما مدعى تجاهله لى !؟ أنفه بدأ ينزف بماء رقيق، وفي عينيه دمع، وذلك بفعل الريح في مؤخرة السيارة العارية، وقد بدأ أمامي مباشرة وصاحبه من بعيد عاد بأعواد الحطب لكي يغمر النار طوال الليل.

قال ـ وهو ما زال يمشى تجاهى: ها ماذا قلت له ؟!

قلت: من ؟!

قال: الجرو...!

قلت: زعلان، ليس لديه أية رغبة في النظر إلى !

قال: هذه الحاسة السادسة لدى الكلاب، إذ حين تستشف مشاعر المرء تجاهها تتخذ ضده أسلوبها المعتاد، التجاهل ..!

لكننا معاً في مهمة واحدة، ويجب أن نتحاب، ونتحد ضد العدو المشترك !

ما عليك قال لي ـ المهم هيا بنا ـ وقد ارتشف الشاي في جرعة واحدة ـ هيا بنا ننطلق، الصيد الآن يبحث عن قوته، ومن المرجح أنه في متناول أنف الجرو.

انطلقنا معاً والكلب أمامنا يركض، ويحرك ذيله، ويلتفت نحونا، والظلام أحاطنا من كل جانب، وقد اندفعنا في الأحراش مسافة كيلو متر تقريباً، وبعد لم يلح الصيد لنا، وإن كانت أصوات تشي به، بدأت تتسرب إلى الكلب وإلينا، كانت العصاة التى بيدي غليظة ومؤذية، وكذلك رفيقي، فيما الكلب السريع يُجهز لهجمة في الظلام..!

قال صاحبى .. توقف .. كنا مازلنا قريبين بعضنا من بعض، وقد همس: توقف ... أضاف، وأسمع هناك صيد، وها هو الكلب خلفه وقد رأيته تحت الضوء، وعليك أن تدقق في التصويب، حين يدفع به الكلب إليك، وإياك ..ركز.. استعمل قوتك بإحكام وأنا ـ قال ـ سأدفعه تجاهك .. اثبت هنا ـ سيُعيُده الكلب تجاهي، وبدوري سأبذل جهدي أن أنال منه، إن فشلت فسيكون دورك لا محالة.

قلت: إنني لا أرى شيئاً!.

قال: استعمل أذنيك، عندما يقترب الصوت منك تهيأ وسيبرز أمامك، وإذ ذاك تصرف بلباقة وحكمة..!

انطلقنا كل إلى جهته وقد لاح الصيد أمامي فعلاً، ولكنه اختفى في شجر البطوم، ثم داهمنى صوت ركض متصل بين

الشـجيرات، وتهـيأت أمسـكت جـيداً بعصـاتي ... وصـلنى الصـوت، ضربت سقط الشيء بين قدمي....؟!

كـدت أصـرخ حـين رفعـته بـين يـدي، ولكنـني أُصبت بالصـمت الميت، حين عرفت أن الذي سقط أنما هو الجرو، وليس الصيد، وأن ذلك بمثابة كارثة، إضافة إلى كونها خيبة أمل قاتلة في الرحلة برمتها، ولكنني وجدتني أتصرف بالحكمة واللباقة التى نصحني بها صاحبي، أمسكت بالصيد - أعني الكلب من ذيله وألقيت به بعيداً وسط شجر البطوم، ورحت أركض في الظلام تجاه صاحبي متكلماً بصوت مرتفع ....

ما الذي جرى أين الصيد؟!

إنـه فـرّ مـن بـين أصـابعي، ولقـد أعـاده الكلـب إلـيَّ، ثـم وقـف أمـامي وقـد داهمتـه فـرمـاني بسـهمين في سـاقي، ولحقـت بـه، اختفـى هو والجرو وأنت؟.

ـ أنا أمامك الآن لكن أين الكلب؟!.

ضـحك سـيأتي دعـه يـذوح، سـيعود خـائـباً، إنـنـا لم نسـتغل الفرصة التى أتاحها لنا، فقد قام بواجبه، ثم ابتعد عنى قليلاً .. وصار يصفر.. سو...سو...اوسو.....تعال ...تعال.....!؟

كنـت أنظر إليه بشفقة، ولكن في الظلام، فهو لحسن الحظ لن يرى ملامح وجهي عن كثب، وسيعود إليَّ بعد معزوفة الصفير الأخيرة وسنتحدث عن الكلب ودوره المذهل!؟

قال أعطني طاسة شاي، وقف، ثم تنهد، ثم قال منهداً من التعب: لقد خسرنا الصيد، وسنرتاح قيلاً .. وبعد عودة الجرو، سنعود إلى الصيد ثانية، فلا بد يكون الصيد قد جُرح وهو بالتجربة لا يبتعد عن وكره، خصوصاً أن الكلب أرهقة، ثم سألني بلا مبالاة، ربما سمعتك تضرب شيئاً هل حدث هذا ؟!

نعم ـ قلت بسلاسة، ألقيت بعصاتي في تجاهه، وقد فلت مني فيما الكلب لاح أمامي يركض تجاهك بعشوائية، تراه انحدف إلى قعر الوادي ؟!

ربما .. هيا بنا نبحث عنه، لربما أمسك بالفريسة، وهو الآن يحرسها من الثعالب والذئاب، لِم لا ..؟ هيأ وأشعل ضوء البطرية بيده وصار يلوح به وهو يحدثني عن الفرصة المتاحة الضائعة ...!.

وقد كنت أبذل جهدي أن أبعده عن مصير الكلب، ومكانه، محاولاً معه أن نقرّ بأن الكلب إنما اختفى في الغابة، وقد زرعت في رأسه أن الكلب إنما عاد إلى صاحبه، فالكلاب تفعل ذلك ببساطة وتلقائية..

لكنه قال لي:

ربما عاد إلى بيتي !

قلت: في الحالتين إنه لم يضع، سنلقاه غداً...

ضحك ـ قائلاً: لا .. الليلة لا بد أن ينام في بيتي، لن أنام إلا وهو

في بيتي ... أضاف حاداً ـ أنت لا تعرف ماذا يمثل بالنسبة لي!؟

قلت: وقد أردت أن أُفرغ شحنة عواطفه تجاه الضحية ـ إنما هو كلب، لا تمنحه أكثر مما يستحق..!

سخر قائلاً : وإذا قلت لك إنه أفضل رفيق لي في هذه الدنيا!

أعتقد أن ذلك مبالغة منك، فالرفاق في الحياة هم الرجال وليس الكلاب !

لا .. قال بحدة هي من طبعه ـ الكلاب ثم الرجال!؟

قلت: ما الذي تفكر به الآن؟!.

قال: لنستمر في البحث عن الجرو ـ لابد إنه هنا، ما الذي يدفعه إلى العودة وحده.؟!.

كنت في تلك اللحظة قد رأيت الجرو مُلقىً فوق شجرة البطوم التى حدفته نحوها في أول الليل، وقد رأيت أن أُبعده عن المكان قلت له:

أعطني البطارية، هات ..هذا صوت في الظلام مدَّها لي بسرعة، وجهتها إلى عكس مكان الجرو وركضت قلت له تعال، جاء مسرعاً، وتوقفنا في لحظة صمت مشتركة..!؟.

قال: ولكن لا شيء، إنه لا بّد أحد الثعالب ـ أضاف ـ لو كان الجرو لعوى تجاهنا وركض .. يا الهى أين تراه ذاهب هذا الجرو المسحور..؟!

قلت له: أريد أن أتبول ..

قال: إياك أن تُعضَ في مؤخرتك .

قلت: ممن ؟! من الجرو؟!

قال: نعم إنه شرس ومقاتل!

كنت عدت تجاه شجرة البطوم، وقد أمسكت بذيله وألقيت به في داخلها ثم عدت إليه قائلاً: لا حياة لمن تنادي؟!

مشينا وكأننا في جنازة، لا كلام، حزن مخيم ،وصوت الشجر يتحرك وفي كل واحد منا هواجسه.

في الطريق إلى المدينة قال لي: لا كلب، ولا صيد...!

قلت: لا بأس . وقد سلمت هام الرجال من الردى .. وضحكت!

قال: هذه ثمانمائة دينار يا هذا ...

قلت: ما المال إلا مثل قصّ الأظافر..!؟

الفهـرس

المؤلفات

1ـ آراء في الأدب ـ نقد ـ مع آخرين.

2ـ تلك الليلة ـ رواية.

3ـ أبواب الموت السبعة ـ رواية.

4ـ أطفال التراب ـ قصص.

**** قيد الطبع :**

1ـ هؤلاء ـ سيرة ذاتية للأدب الليبي ـ الجزء الأول.

2ـ الطائر الأبيض ـ مقالات أدبية.

3ـ حكايات أم أفكار ـ قراءة ثانية لموسم الحكايات.

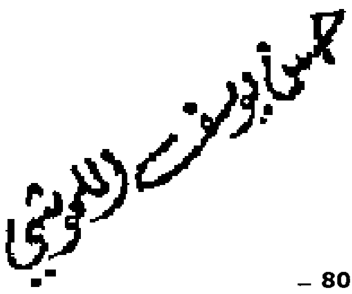
4ـ حقول الرغبة ـ رواية.

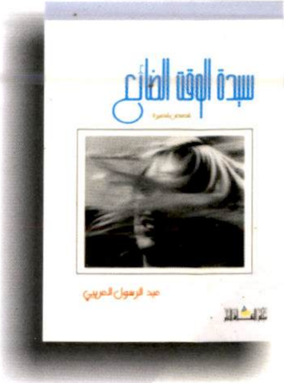
5ـ فنتازية أرجنتينية ـ قصص قصيرة.

6ـ عباءة الجمر ـ قراءة في الشعر الليبي.

7ـ الواقعية في القصة القصيرة ـ دراسة.

8ـ وطن للطلاب ـ رواية.





▪ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام